



كانون الثاني ١٩٢٩

## على قبر الاب لويس شيخو

مرّ السابع من كانون الاول الماضي ، ومرّت معه السنة الاولى على وفاة مؤسس « المشرق » ومديره ، المأسوف عليه كثيراً ، المرحوم الاب لويس شيخو . ولقد قام قلم تحرير المجلة ، على اثر الفاجعة ، بذكر بعض مميزات القيد ؛ فشر في عدد كانون الثاني ملخص تلك الحياة الملائى بالاعمال والامثال . ثم اظهر ، في عددي شباط وآذار ، ما كان لتلك الاعمال من الفائدة لتاريخ الآداب العربية خاصة ، وللتاريخ الشرقي عامة ، لاسيما ما اختص منه بتاريخ النصرانية في الشرق . اما الآن فاننا نودّ جمع بعض شهادات تبين عن التأثير الشديد الذي احدثه في البيئات المختلفة موت الاب شيخو ، وعن الفراغ الواسع الذي تركه في جيوش العلم ذاك العالم المعتر .

\* \* \*

في مساء الثامن من كانون الاول سنة ١٩٢٧ ، ضاقت كنيمة كلية القديس يوسف عن المتطارئين اليها من ارباب الفكر في بيروت ، ليشهدوا

بمُشروع ، الصلاة الاخيرة عن نفس الفقيد العزيز . وكانت الاكائيل قد أرسلت من قبل رئيس المجلس النيابي اللبناني ، عطوفة الشيخ محمد الجسر ، ومن قبل وزير المعارف العامة اللبناني ، ومن قبل نقابة الصحافة . وعند ابتداء الصلاة ، تقدم سعادة الاستاذ بشاره بك الحوري ، رئيس الوزارة اللبنانية ووزير المعارف ، فألقى على نمش الراهب الوضع ، وعطى عليه ، باسم حكومة لبنان وشبهه ، مدالية الاستحقاق اللبناني الفضية ذات السمف ، للاسباب التالية :

« بقي نحو خمسين سنة يخدم اللغة العربية بنشر كتونها المدفونة ، وتأليف الكتب العديدة فيها . وخدم لبنان خاصة وبلاد الشرق عامة ، بما نشره من التأليف عن تاريخها وآثارها وعلومها ، حتى بلغت مطبوعاته مائة وعشرين مجلداً . فاستحق شكر لبنان . »

وفي شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٨ ، لما التأم الجمعية اللبنانية للتعاون الفكري ، التي كان الفقيد عضواً فيها ، وقف رئيسها الاستاذ كميل اذه ، ووصف حياة الاب شيخو العلمية بتعاير اتيقة ، ثم اوقف الجلسة حداداً . وقد اشترك في المؤامسة حضرة الدكتور بشير قنار رئيس الكلية الاسلامية في بيروت ، فألقى تأبيناً نشره المشرق في حينه (عدد شباط ١٩٢٨) .

وما انتشر النعي حتى اخذت برقيات المؤامسة ورسائل التعزية تتوارد من كل جهة علي كلية القديس يوسف ، وعلى ادارة المشرق . وكان من اولها برقية من مصر وقعها ذر الفقار باشا ، كبير حجاب جلالة الملك فؤاد ورئيس جمعية قدما . تلامذتنا في مصر . فتأسف فيها ، باسم جميع القدما ، لوتوع ذاك المصاب « بوفاة استاذهم القديم ، ولحفازة الآداب العربية التي لا تعوض . »

هذا ولا يسعنا المقام لذكر جميع برقيات التعزية والمؤامسة العديدة ، فيمكنني بالاشارة الى برقيات : الجالية المارونية في سانپاولو ( البرازيل ) ، ونادي الشبيبة الارثوذكسية في يافا ، ورئيس الجامعة الاسلامية في دمشق ، والى رسائل الجامعة الاميركية في بيروت ، والآباء الصعوديين في فاضي كوي ، ومديري مجلة ( Echos d'Orient ) العلماء ، ومعهد الدروس العالية المراكشية في الرباط (مراكش) ، وادارة تحرير مجلة (Deutsche Palaestina Verein) في برلين ،

وادارة مكتبة مقاطعة فريبورغ (سويسرة) ، وادارة مكتبة مدرسة اللغات الشرقية في برلين . الى غير ذلك من الجمعيات العلمية او معاهد علوم الاستشراق . وكلهم يبدون اسفهم الشديد لتقد العالم المعتبر ، ويقدرون صفاته الممتازة كرجل وكراهب . وسنذكر اقوالهم في آخر هذه الاسطر ، شاكرين للجميع عواطفهم النبيلة في مشاطرتهم ايانا تحمل تلك الفاجعة .

وقد شاطرنا وقع المصاب ايضاً جميع الطوائف المسيحية في الشرق . فارسل غبطة السيد عمانوئيل توما ، بطريرك الكلدان الجليل ، بعتبر لنا « عن ألمه الذي لا يوصف ، لدى وصول نعي الاب شيخو الكثير النعمي ، والوافر العلم . وقد وقع هذا النعي عليه وعلى كهنته في بنداد ، وقرع الساعة . لان المصاب بهذا الراهب العالم القديس ، سيحدث في جميع الشعب الكلداني حداً عاماً كما انه سيحدث فراناً لا يُبد في جميع الرسالات الشرقية . »

واتقنا من الاستاذ ستروتمان محرر المجلة المشهورة (Der Islam) رسالة تعزية باسم جميع مسترقي هامبورغ ( المانية ) يقول فيها : « نحن ايضاً قد خسرنا بالفقيد عالماً متفخفاً نعتبه عن جدارة واستحقاق . ونحن نشعر معكم بالفراغ الذي احدثه وفاته . » وختم الرسالة بطلب المآرعات عن حياة الفقيد ، لكي يتسكن من نشر المقال الذي يستعد لكتابته عنه في المجلة المذكورة .

ووافتنا رسالة تطلب المآرعات نفسها من كيف ( روسية ) ، وذلك باسم المجمع العلمي في اركانية ، بعد ان ذكرت غاية مرسلها ، وهي الرغبة في « تخليد ذكرى الاب شيخو ، العالم الشهير ، بين مسترقي الروس » ومن روسية ايضاً اتقنا رسالة الدكتور اغناطيوس كراشكوفسكي ،

عضو المجمع العلمي للجمهوريات السوفياتية ، وسكرتير فرقة التاريخ ودرس اللغة . كتب اليها من ليننغراد ، قال : « ان الحسارة التي اصابكم سيشاطركم ارباها جميع علماء الرعية في الدنيا قاطبة . لان الفقيد كان ، ولا منازع ، اشهر عالم في موضوعات الآداب الرعية النصرانية . واننا لتصور بصعوبة وجود خلف له في هذا الفرع . وفي سائر المعارف الرعية ترى من الصعب ايضاً وجود مثيل له . وان مجلة « المشرق » التي أسماها الفقيد وادارها تمثل دائرة معارف الدروس

العربية ، وموضوعات الاستشراق على الجملة .

« على انني اشعر شخصياً بعظم هذه الحسارة لانه كان لي الحظ بالاستفادة من تعليمه الشفهي في المكب الشرقي ، وباتباع محاضراته مدة السنوات ١٩٠٨-١٩١٠ . وقد تبادلنا وياها ، بعد ذلك ، حالات متتابعة يسببها الاخلاص .

ولم يكن قط ليرفض مساعدتي بمعلوماته ، ومعاونتي بنصائحه الغالية . »

وكان الدكتور ارغست هفتر ، استاذ اللغات الشرقية في جامعة انسبروك (التيرول) ، قد اقام مدة سنتين ضيفاً على كلية القديس يوسف . ثم طبع ، مع الاب شيخو ، عدة رسائل في اللغة العربية كانت لم تُنشر بعد . فكتب اليها ما يلي :  
« لم يقتصر اعجابي بالتقيد على صفاته بمجاعةً وعالمياً واستاذاً فقط ، بل ساعدني الحظ بالتقرب منه الى درجة امكنتني ان اعطيه اسم الصديق . وها ان ذكرى اقامتي في كلية بيروت المضيافة تحيي في اليوم فتصيديني الى زمن كنت فيه اعاشر الاب شيخو ، واقدر فيه صفات الرجل وصاحب الاقدام . وقد كنتا نتبادل ، حتى الشهور الاخيرة ، الرسائل المختلفة في البحث عن بعض المسائل العلمية . هذه هي التذكريات الصالحة والنفيسة التي اتى الموت فجأةً فقطع مجراها ! »

\* \* \*

للبعثة البروتستانتية في مصر صحيفة شهرية تصدر باللغتين العربية والانكليزية اسمها « الشرق والغرب » . وقد كتب اليها محرروها من القاهرة « يعربون عن تأسفهم الشديد لموت الاب شيخو المشهور شهرةً حقةً بسبب فضائله المسيحية وغيرته على تقدم الدروس الشرقية . ونحن ، من زمن طويل ، نقدر قيمة آثار الاب ليس فقط فيما يخص العالم المسيحي ، بل فيما يخص البيئات العلمية ايضاً . فنقدم لآبآ . كلية القديس يوسف واجبات المراساة والاحترام بمناسبة الحسارة التي وقعت عليهم . » وكان مع الكتاب ترجمة افرنسية للاسطر التي خضتها مجلة « الشرق والغرب » بالتقيد . وهذا تعريبها :

« باسف شديد تلتأت ادارة المجلة نعي المستشرق ، حضرة الاب لوس شيخو من كلية القديس يوسف في بيروت . ان الاب المرحوم ، الذي لم تكن غيرته العلمية لتتنص عن تناء المشهور ، قد عمل اكثر من اي انسان في سبيل

تشر الآداب العربية النصرانية قبل الاسلام واطهار قيمتها . ولهذا فان جميع مردي الآداب العربية سيظلون مدينين لاجاث الاب شيخو التي قدم بها معرفتنا بالشعر العربي القديم .»

وارفر من ذلك تأثيراً ما تشرته بكل ايجاز عن وفاة الاب شيخو المجلة (The american Journal of semitic Languages and Litterature)

التي تصدر في اميركا الشمالية<sup>(١)</sup> في شذرة اغزل كاتبها ذكر اسمه ، ولكنه يظهر انه عرف قيدنا شخصياً ، فرغب ان يخصص له سطرًا « يتضمن معرفة الجليل لذكرى صديقنا الممتاز ومعلمنا ذي الحنو الابري ، الاب لويس شيخو الذي سيقى اسمه حياً في تذكارات زملائه المستشرقين ، وفي قلوب الشعوب العربية . وما إن كنبه تشهد بسة معارفه ، وبساطته المحبوبة التي تشابه بساطة الولد .»

بساطته المحبوبة التي تشابه بساطة الولد ا وهل كان بالامكان ان تُنفث بارفر وضرح عقلية المرحوم الاب شيخو ؟ ولهذا فان اسمه سيقى حياً في قلوب الشعوب العربية ، كما يقول الكاتب العالم .

هذا وان باقي مجلات المستشرقين لم تجد لديها ، حتى الان ، مئسماً من الوقت يمكنها من قدر اعمال الاب شيخو . وقد باشر كثير منها هذا الدرس كما قدمنا . وان المطلعين على الفترات الفسيحة بين العدد والآخر من هذه الصحف لا يستغربون تأخرها

وإسرتنا ان نختم بتعريب اسطر تفيض فيها عاطفة الحب والاحترام للاب القيد ، وللمرسة التي قضى فيها حياته الملائى بالعلم والعمل . نقلها عن مجلة (Rivista dell'unione missionaria del clero in Italia.)<sup>(٢)</sup> وقد وقعها

مسترب شاب من كبار النوابغ على حداثة سنه :

« في اوائل كلون الاول سنة ١٩٢٧ ، كنت اتحدث عن الاب شيخو و« مشرقه » الى احد مستربيننا المشاهير . فذكر لي اعجابيه بالحياة التي تدفع هذا الرجل البيني الى متابعة عمل مهم يكاد يكون وحيداً في القيام باعبائه . وكيف انه ينعم بما ينشره قلبه السائل من المقالات القيسة المختلفة الموضوعات

المتابعة المناوين ، تلك المجلة اللطيفة ، ذات الغلاف الازرق ، التي تأتي كل شهر ، حاملة الى مكسي ، سلامَ ذاك الشرق البعيد الذي لم يُتَح لي بعد ان اتعرف اليه . في تلك الايام ذاتها ، كان قد وصلني العدد الاخير من المجلة مرتدياً ثوباً ابيض دلالة على اليوبيل النضي . وفيه القى الاب شيخو نظرةً اجمالية على حياة مجلته مدة ربع قرن ، حياة لم تكن لتخلو من صعوبات وقلاقل . عندما كنت اتحدث عنه ؛ عندما كنت اتصّح سطره الأخيرة المفعمة بالغيرة والسرور المشروع لدى مشهد العمل المتمم البناء المشيد الاركان ؛ عند ذلك من كان لينبني أنّ على الطريق تلك الورقة المحاطة بالسواد ، التي تذكر فيها كلية بيروت خسارتها الفجائية بفقد بطلها البارز وركننا المتين .

« ولكن ذاك النعي ، على شدة ألمه ، أثر في ، كما يؤثر في كل من عرف القيد ، وان عن بعد ، أثراً من الطمانينة هادئاً ، أثرٌ مشهد عامل يتراجع بسكون امام عمله التام ، وقد ارتاح ضميره الى انه قام بواجبه حتى النهاية . ان الدين والعلم ، اللذين خدسها الاب شيخو مدة حياته ، كما خدسها كلية القديس يوسف ، هما سروران دون شك من الاول ومن الثانية : هما سروران من الرجل الذي ، قبل موته بقليل ، القى ، في آخر مقالة خطبها ، لمحة اجمالية على المعتقد الكاثوليكي ، ثم انضفاً بكل طابينة وسلام مسلماً سراج الحياة الى من هم اعز شباباً منه . هما سروران ايضاً من المؤسسة التي كانت ولا تزال مصدرًا للايمان والعلم ، والتي تنازلت من ايدين اللتين جندهما الموت ذاك السراج ، ينبوع النور والحياة ، وناولته لغيرهما من عملها رغبة في ان تغزيهم وتعينهم على تحمل ايام الحداد ، وتبشّهم بانتظار ما يفضل ذلك من الايام . » ( فرنشيكو غزبالي )

\*\*\*

ش. الله سبحانه ان يتأثر بالرحوم الاب شيخو ، فيجازي خادمه الصالح الامين . فلتكن مشيئته ! ولتكن مشيئته ايضاً بان ينعم على من خلف القيد في « مشرقه » بان يسيروا على خطواته في خدمة الحق سبحانه ، وخدمة الوطن العزيز !



ملقى على نَشْرٍ وَشِدْرِ الوَسَادِ  
 مَغْفُورَةٌ لَمَسَتْ أَيْهَا بِالْحِدَادِ  
 أَنْفَاسُ الْحَرَمِ وَطُولُ السَّهَادِ  
 فَيَالِيبُ النُّورِ طَلِبَتْهَا السَّوَادِ  
 كَيْ كَانَتْ فِي الْعَيْنِ مَشْرُوكَةَ الْقَادِ  
 أَجْفَانُهُ وَأَمْسَتْ ذَنَبُهُ السَّوَادِ  
 فَانْشَرَعَتْ فِي عَوْدِهِمَا لِلْعَمَادِ  
 فَأَلْتَتْ مِنْ حَلَقَاتِ الصَّقَادِ  
 حَائِزَةٌ كَيْ الْعَطْفِ نُورِ السَّهَادِ  
 أَوْ مَرَكَةٌ فِي بَحْرِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ  
 وَأَضْدَعَتْ سَبْعَ الطَّبَاقِ وَالشَّادِ  
 يَسْتَرْفَعُ فِي الْكُونِ بَارِعُ الْعِبَادِ  
 فَكُلُّ رُوحٍ نَفْسَةٌ مِنْ رُودَادِ  
 خَاطِرٌ أَوْ دَمْرٌ مِنْ مَرَادِ  
 مَا يَدُ الْإِنْبَاءِ الْهَيَّوَى وَالْوَهَادِ  
 وَاسْتَقْدَحُوا فِي كُلِّ نَحْفٍ وَنَادِ  
 فَإِلَهَا فَوْقَ السَّمَاءِ امْتِدَادِ  
 أَرْتَحِنِي مِنْ بَعْدِ لَيْلِ الْجَمَادِ  
 لِلْحَبِّ تَحْتَ الْعَرْشِ حَتَّى الْمَعَادِ  
 قَدَّ أَصْبَاهُ الْمَوْتِ نُورَ الْغَوَادِ

جَاءَتْ الْمَوْتُ قَالَتِي  
 نَحْيٌ مِنْ حَوْلِ شُرُوعِ النُّقَى  
 وَدَّ حَاطِبُ الرَّاكِبِ أَوْدَتْ بِهِ  
 عُرْفُهُ مَغْفُورَةٌ مَرْفُوكَةٌ  
 تَعْمُ يَجْرِبُ هَادِيًا قَائِمًا  
 تَجَسَّسَاتِي وَقَدْ انْعَمَّتْ  
 نَتِ الْمَسْ الْعَسْبَارُ ذَرَاهُ  
 نَتِ النُّفُوسِ إِلَى أَصْلِهَا  
 أَهْلُ نُورِ النُّشُوبِ الْأَمَامِ  
 زَكَاةً فِي رَدْعِيهِمْ سَاوِيًا  
 نَتِ الْأَنْفَاقِ عَنْ سَرْمَا  
 كُونُ نُورٌ فَأَيْضًا رَحْمَةٌ  
 تَذِيحُ بِالْحَمْدِ أَوْ لِحْنًا  
 نَضْرُفُ فِي مَهْوَاتِهَا الْحَمْدُ  
 طَيْبُ الْقَوْمِ عَلَى سَطْحِهَا  
 نَوَابِغِ الْأَرْضِ أَطَاعِمِ  
 يَسْتُ بِالْقُرْبِ أَرْوَاغِهِمْ  
 نَذْرٌ فِي سَائِلِمَاتِ النُّصْحِ  
 فِ مَسْأَلِ مُسْتَلِيمًا  
 قِيْلُونِي إِنْ أَوْحَا لِي

يوكيف عنصوب

